الاحتفالات والأعياد في مصر خلال العصر الفاطمي
(358– 567 هـ / 969–1171م)

د.منى حسن حدود
كلية الآداب– جامعة الزاوية

المقدمة:

كثر الاحتفال بالأعياد والمناسبات المختلفة في العصر الفاطمي حيث جرى الاحتفال بالمناسبات الشيعية والتي على رأسها يوم عاشوراء "10 محرم" ومولد الحسين "5 ربيع الأول" ومولد السيدة فاطمة "20 جمادى الأخر" ومولد الإمام علي "13 رجب" ومولد الحسن "15 رمضان "ومولد الإمام الحاضر" 12 محرم" والمولد النبوي. وهذه يطلق عليها الموالد الستة أما أخر هذه الاحتفالات الشيعية فعيد "غدير خم 18 ذي الحجة" وفتح النيل. فكان فرصة لخروج الناس للاستمتاع بمنظر النيل ومشاهدة الخليفة وهو ينظر إلى هذا الاحتفال .

فحياة البذخ والرفاهية التي عاشها الخلفاء الفاطميون انعكست على المجتمع الفاطمي، فكثر الاحتفال فقد عنوا كثيرا بها ووفروا لها الأموال والثروات لإقامتها حيث أقيمت الموائد الكبيرة والمواكب الضخمة .

فقد شارك الخلفاء عامة الناس في هذه الاحتفالات وأطلقوا العنان للبذخ والثراء حدا لا يوصف، حيث كانوا يقيمون لها الموائد والأسمطة والمآدب في جو ملئ باللهو والترف حيث توفرت أنواع مختلفة من الأطعمة والشراب وأنواع من الحلوى مرتدين أفخم الملابس كما كانت توزع الأموال على المحتاجين والفقراء. والواقع إن موضوع الأعياد والاحتفالات في العصر الفاطمي من المواضيع المهمة التي يتناولها الباحث التاريخي فيستلزم الأمر التعرض لعادات الشعوب وتقاليدهم في احتفالاتهم الأسرية وأعيادهم ووسائل لهوهم وطريقة تعبيرهم عن الحزن في المناسبات المختلفة، ولذلك تناولت مختلف الاحتفالات التي يحتفل بها الفاطميون مثل الاحتفال بشهر رمضان الكريم وعيد الفطر وعيد النحر ويوم عرفة فضلا عن يوم عاشوراء كما أقاموا احتفالات أخرى مثل الاحتفال بزيادة النيل وفتح الخليج وليلة مولد

النبي صلى الله عليه وسلم كما احتفلوا بخميس العهد وليالي الوقود إضافة إلى احتفالات أخرى .

الاحتفال بشهر رمضان:

يحتفل الفاطميون بشهر رمضان و يعتبر من المناسبات الدينية المهمة – ويقول: تميم بن المعز: – "شهر الصيام أجل شهر مقبل ∴ وبه يمحص كل ذنب مثقل"[1] ويتم التحضير للاحتفال قبل الشهر الكريم حيث تقام احتفالات كبيرة في بداية شهر رجب ونصفه وبداية شهر شعبان ونصفه، وهذه الليالي من أبهج الليالي[2] فكان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ينفق في ليلة النصف من شعبان مبالغ كبيرة تعطي للمستحقين من الناس ويوضع الباقي في بيت المال، وتقدم في عهد الخليفة العزيز مختلف الأطعمة في رجب وشعبان ورمضان[3] وكان الخليفة الحاكم بأمر الله في ليلة النصف من شعبان يأمر بحمل الفرش إلى جامع القاهرة وكذلك تعلق القناديل المذهبة والفضية وتحمل البخور والشموع ويرافق ذلك التهليل والتكبير [4]

وكانت ليلة النصف من شعبان مشهودة في عهد الخليفة الظاهر على حد قول المقريزي حيث يحضر في هذا الاحتفال الخليفة والسيدات وخدم الخاصة وسائر العوام.

وكان الاحتفال كبير في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله حيث تقدم الأطعمة والحلوى[5] كما تعمل الأسطة حيث ذكر ابن الطوير إن الخليفة الأمر طلب من وزيره إن يستعيد عظمة الأعياد والاحتفالات الرسمية وان لا تجبى الأموال إلا بالقصر ولا تصل الكسوات إلا إليه ولا تفرق إلا منه وتكون أسمطة الأعياد فيه ويرجع لوزير الأمر الفضل في إعادة البهجة إليها[6] وكان المقرئين يسيرون على طول الطريق إلى جامع عمرو بن العاص حيث يقراؤن القران الكريم وكانت الحوانيت مزينة بأواني الذهب والفضة[7] فكان الاحتفال كبير بليلة رؤية هلال رمضان وليلة الإسراء والمعراج[8] فكان الاحتفال قبل رمضان بثلاثة أيام حيث كان القاضي يتفقد كل جوامع القاهرة والفسطاط ويوفر لها الفرش والإضاءة وإصلاح ما يمكن إصلاحه[9].

وفي أول أيام رمضان يمر موكب الخليفة بصحبة الوزير والحرس الخاص بشوارع القاهرة ويكون بانتظاره أمام المسجد وبيده المصحف الشريف حيث يقبله الخليفة عدة مرات[10] وأثناء مرور الموكب يعطى دينار لموظفي كل مسجد يمرون عليه في طريقهم إلى القصر [11].

وفي الشهر الكريم يقرا القران ويلقي الخليفة الخطبة ويصلي بالناس وبعد انتهاء الصلاة توزع الدنانير كلا حسب مهامه فللنائب في الخطاب ثلاثة دنانير، وللنائب في الصلوات الخمس نفس المبلغ، أما المؤذنين فقد خصصت لهم أربعة دنانير، ولصبيان بيت المال ديناران وللقراء رسوم خاصة، وتسعة دنانير لمعبي الفاكهة، وعندما تباع الفاكهة بالجملة يقسم ثمنها بين الإمام والمؤذنين وهكذا الحال حتى خلافة آخرهم وهو العاضد[12] .

ويظهر الثراء والبذخ في شهر رمضان فيذكر المقريزي: "وكان في أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلوى وبه صرة من ذهب ويقال لذلك غرة رمضان"[13].

وكانت تقام الموائد في شهر رمضان في الجوامع حيث يتناول الناس فطورهم، ثم صارت في عهد الخليفة العزيز تعمل الأسمطة بجانب مقر الشرطة بمدينة الفسطاط حيث يفطر الناس عليها وعلى نفقة الدولة وذلك طوال الشهر الكريم[14] .

ويذكر إن السماط يمد من اليوم الرابع من شهر رمضان إلى اليوم السادس والعشرون وكان يحضر قاضي القضاة والأمراء ورجال الدولة والوزير ، ويكون عادة يوم الخميس[15]، فكانوا يحتفلون بهذا الشهر ويقدمون التهاني لبعضهم ، فقال تميم بن المعز مهنئاً الخليفة العزيز بشهر رمضان وفي نفس الوقت يمدحه . لئن كان شهر الصوم أفضل حوله ∴لفضلك في ابناء جنسك أفضل[16]، وفي هذا الشهر يقوم بعض الوزراء باستضافة أهل العلم في ديارهم ، فيعقوب بن كلس[*] كان يجتمع بالفقهاء وأهل العلم والفقراء وتقدم الأطعمة ويطاف عليهم بالطيب. وبعد مائدة الفطور كانت تقام مائدة السحور التي يحضرها الخليفة وشهود الاحتفال الديني وبعد انتهاء السحور توزع الحلوى والقطائف.

وهذا الشهر مناسبة لإظهار ترف وبذخ الخلفاء الفاطميون حيث توزع العطايا والأموال على رجال الدولة وكذلك توزع أطباق عديدة بها أصناف من الحلوى الفاخرة على الأمراء وأرباب الرتب والخدم فلا يبقى أمير ولا مقدم إلا يأتيه طبق من ذلك هو وأولاده ونسائه[17]، ويذكر إن القاضي هو أول من توزع عليه الحلوى[18]. وتباع اللعب وعرائي الحاكم صلاة، والشموع ذات الأحجام المختلفة والفوانيس المضاءة بالشموع حيث يحملها الصبية وهم في طريقهم إلى المساجد، وكان ينفق في شهر رمضان مبالغ كبيرة حيث بلغت نفقة سماط رمضان ثلاثة ألاف دينار[20]، فيكون متوسط اليوم الواحد مائة وثلاثين دينار[21]، وكان

يشرف على هذه المهمة صاحب ديوان المجلس حيث تتم فيه تسجيل نفقات عيدي الفطر والأضحى[22]، وبلغ ما أنفقه الخليفة الأمر بأحكام الله ستة عشرة ألف دينار وأربعمائة وست وثلاثين دينار إضافة إلى الألعاب والحلوى[23].

وفي شهر رمضان يلقى الخلفاء الفاطميون ثلاثة خطب ويستريحون جمعة واحدة وكانت تسمى جمعة الراحة[24] إلا إن بعض الخلفاء يخرجون للصلاة طوال شهر رمضان كالخليفة العزيز

فيذكر أنه أول من ركب في الجمع في شهر رمضان كما إن الخليفة الحاكم يصلي بالناس جمعتين في رمضان وأحيانا يصلي الجمع الأربعة فكان يخرج إلى الجمعة الثانية إلى جامع الحاكم مرتديا ملابس بيضاء احتراما للصلاة، وكانت توزع أكياس الصدقة أثناء موكب الخليفة وفي الجمعة الثالثة يصلى بالجامع الأزهر والرابعة يصلى في الجامع العتيق وكانت مظاهر الزينة في الطرقات ، ويذكر إن الخليفة الحاكم كثرت اقطاعاته للناس حتى خرج عن الحد وكما يجرى الاحتفال في اليوم التاسع والعشرون من الشهر الكريم حيث يعطى الأمر للمقرئين والمؤذنين بزيادة عملهم في كل ليلة من رمضان فيتم ختم القران وبعدها توزع عليهم الدنانير والدراهم وتقدم لهم القطائف والحلوى.

أما عن أزياء وملابس الخلفاء في هذا الشهر فاغلب الخلفاء كانت ملابسهم بسيطة احتراما لهذا الشهر ، فقد اكتفى الخليفة الحاكم بارتداء رداء بسيط إلا إن الخليفة الظاهر لبس لباساً مميزا ، حيث ارتدا قميص مذهب وعمامة وعلى رأسه مظلة مذهبة وتسير حواليه العبيد[25] وكان يمنع إقامة صلاة التراويح في رمضان وذلك منذ عهد أبو عبدالله الشيعي وكانوا يعللون إن النبيﷺ لم يسنها بل سنها الخليفة عمر بن الخطاب فضلا عن ذلك إن الفاطميين كانوا يقرؤون طوال السور في صلاة العشاء فلا يكون لزاما من صلاة التراويح[26] فكان عبيد الله المهدي يأمر بقطع صلاة الترويح وان يصوم الناس يومين قبل شهر رمضان[27] إلا إن بعض الخلفاء الفاطميين كالحاكم بأمر الله أقر صلاة التراويح بعد إن منعها عشر سنوات[28]، حيث يذكر انه أصدر سجلا مفاده إن صلاة التراويح لا مانع منها[29]، وقد اظهر ميله لمذهب الإمام مالك .

ولما ارجع الخليفة الحاكم صلاة التراويح وبنى مدرسة لتعليم الفقه المالكي وزودها بدار الكتب كان يبغي التقرب لأهل السنة[30] .

وان من المسائل الفطر: ثارت سخط المسلمين من الفاطميين أنهم لا يبدون صوم رمضان برؤية الهلال فإذا غم الهلال في بلدا ما بسبب سحاب أو غيره فقد يظهر في بلدا قريب فلا يصوم أهل البلد الأول في حين يصوم أهل البلد الأخر، حيث إن الفاطميين رجعوا إلى الفلك والحساب حيث عملوا تقويم قمري حسبوا به سير القمر حيث جعلوا رمضان اقترب والشهور العربية تامة والشهر الذي يليه ناقص وبالتالي يصبح شهر شعبان ناقص ورمضان تام في كل الأعوام فلا يرقبون رؤية الهلال وبالتالي فصيامهم قبل أهل السنة بيوم أو يومين[31] وعيد الفطر قبل أهل السنة كذلك بيوم أو يومين فشهر رمضان دائما ثلاثين يوما عندهم وشهر شعبان تسعة وعشرين يوم لأنهم اعتقدوا إن ذلك سرا من أسرار النبوة على عكس السنة فرمضان ينتهي بمجرد ظهور القمر سواء أكان شعبان تسعة وعشرون يوما أو ثلاثون[32] فكانوا يفطرون بدون رؤية الهلال وذلك حسب التعاليم الفاطمية وحتى فترة وجودهم في المغرب فيذكر إن احد القضاة أراد إن يلتمس رؤية الهلال من فوق سطح الجامع فلم يراه ولما سمع جوهر الصقلي بذلك غضب منه وهدده[33]، عند ذاك طلب شهود القاضي من احد قضاة القاضي إلا يتفحص الهلال، لان الصوم عند الفاطميين يكون بالعدد وبدون رؤية الهلال، معنى ذلك إن الوضع استمر حتى عند انتقالهم إلى مصر، وكان الخليفة المعز يهدد من يصوم في عيد الفطر، ويبدو إن الحاكم كان متناقضا، ففي سنة 397هـ أصدر مرسوم قُرى في رمضان جاء فيه: يصوم الصائمين على حسابهم ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه يصومون ويفطرون[34] أي إن الحاكم تناقض مع الخلفاء السابقين كما إن الخليفة العاضد فعل نفس الشيء فقد حدّث إن الناس بأنهم لم يروا هلال رمضان وذلك لكثرة الضباب ولكنهم صاموا على رؤية الاستبصار وكذلك فعل الخليفة العاضد ووزيره، فيذكر إن رؤية الهلال التي يحتفل بها الناس هي من فكرة هذا الخليفة[35] .

ويذكر كلا من المقريزي والقلقشندي انه عندما يخرج الخليفة عند قرب شهر رمضان في موكب رسمي وتبعث الكتب والتهاني إلى مختلف الولاة والبلدان التابعة للحكم الفاطمي، فهذا يقابل رؤية الهلال عند السنة[36]، وهناك موانع في الشهر الكريم، فكان يمنع الغناء فقد دخلت عجوز عمياء السجن وذلك لأنها تنشد في الطريق فعندما خرج الناس ونادوا بذكر الصحابة وصاحوا" معاوية خال المؤمنين وخال علي عنداك اسكتهم جوهر مبررا إن سبب حبسها هو صيانة لها وشدّد العقوبة لمن يتكلم في هذا الموضوع ثم أطلق سراح العجوز .

كما منع بيع الخمور حيث كانت تقفل قاعات الخمارين وتختم حوانيتهم ويمنع بيع الخمر وشرائه سرا أو جهرا ومن يفعل ذلك فإنها ستتلف وتهلك وذلك من بداية شهر رجب حتى انتهاء شهر رمضان وكان يعاقب من يشرب الخمر سرا أو علنا.

ومنع الخليفة الحاكم الطواف في الأعياد لأخذ الهبات وألا تباع اللعب والتماثيل في الأسواق[37] .

الاحتفال بعيد الفطر:

يبدأ التحضير له من الأيام العشرة الأخيرة من رمضان[38] فكان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي يصلي بالناس صلاة العيد حيث كان يرتدي الديباج[39] واللباس الأبيض الموشح[40] ويجلس بين الخطبتين، وكانوا يسمون عيد الفطر بالموسم الكبير، وأيضا عيد الحلل حيث توزع فيه الملابس على موظفي الدولة[41] .

وكانت صلاة العيد تقام خارج المصلى وخارج العاصمة وقد أصر الخليفة المعز على إقامتها خارج المصلى رغم غزارة الأمطار وكثرة الماء الوحل[42] ويكثر في العيد التكبير والتهليل وإطالة الركوع والسجود[43] وان الخليفة العزيز خرج في موكب كبير لصلاة عيد الفطر وقد أقيمت مواكب على الطريق الذي يسلكه الخليفة بين المصلى والقصر وكان يشترك في هذا الموكب الفيلة والزرافات والأسود[44] .وكان الخليفة الحاكم بأمر الله يوقد التنور في الجامع حيث به ألف ومائتي فتيلة ويكثر التكبير[45] .

كما كان الخليفة الظاهر يقيم الاحتفالات الكبيرة في العيد حيث يسير في موكب كبير وحواليه الفيل والزرافات وتقرع الطبول كما يتواجد جميع القواد بأسلحتهم لحمايته حتى يصل الجامع ثم يعود إلى قصره ويجهز السماط فيستدعى كبار رجال الدولة[46] وكان يحمل السماط وما فيه من قصور وتماثيل مشكلة من السكر كل من صاحب الشرطة والمحتسب إلى القصر، وكان الخليفة الأمر بأحكام الله يخرج لخطبة العيد ويأمر بعمل الفرش كما حدث في عهد المعز[47]، واحتفل الحافظ لدين الله بعيد الفطر حيث يسير برفقته وزيره مرتديا الأخير ملابس مميزة لم يرتديها وزير قبله على حد قول المقريزي ثم يعودان إلى القصر[48] أما الصلاة بالناس يوم العيد سنة متبعة لدى خلفاء بني عبيد حتى في أحلك الظروف، فالخليفة المستنصر بالله وكما ذكر ابن تغرى بردى "لم يبق للمستنصر أمر ولا نهي إلا

الركوب في العيدين[49]" كما كانت عادة الخلفاء زيارة المقابر التي تحمل رفات الخلفاء السابقين وتوزع الصدقات على الفقراء[50] .

والاحتفال كان كبير في عيد الفطر حيث يقام بالإيوان[*] الكبير الذي يقابله سماط كبير ويعمل السماط مرتين ويملا السماط منذ فترة الليل وطوله 300 ذراع وعرضه 10 اذرع حيث يعرض فيه مختلف أنواع الأطعمة[51] ويتبارى الشعراء بإلقاء قصائدهم ويتقدم كبار موظفي الدولة والقضاة والأمراء بالسلام إضافة إلى زعماء اليهود برئيسهم والنصارى ببطريقهم ويوزع عليهم الحلل والهبات[52] وكان الغرض من السماط كسب وتملك قلوب الناس وإظهار جود الخليفة وكرمه وبالتالي استرضاء العامة ومحبتهم[53] وكان السماط حتى في خلافة الأمر بأحكام الله مرفقا بأنواع من الحلوى .

ويبلغ ثمن الكسوة في عيد الفطر عشرون ألف دينار[54]، كما كان يصرف بمناسبة العيد عشرة الاف دينار تتضمن ثمن الدقيق والسكر والفستق واللوز والزبيب والعسل والسمسم والمسك والأواني وأجرة الصناع.

ويذكر إن الخليفة العزيز هو الذي رتب فطرة العيد وكانت توزع في الايوان[55].

بل وبلغ الاتفاق في أسمطة العيدين أربعة ألاف دينار[56]، وفي عهد الأمر بأحكام الله بلغ ما انفق في شهر رمضان والعيد مائة ألف دينار عينا، وعيد الفطر يسمى عيد الحلل حيث توزع الملابس على الأمراء والموظفين وغيرهم حيث صنعت إحدى عشرة كسوة في عهد الأمر سنة 516 هـ– 1122م[57] وكانت كسوة العيد توزع على النسوة حسب درجتهن فزوجات الخليفة في أول القائمة ثم عماته وبنات الأعمام[58]، وكانت مهمة صاحب بيت المال بجانب مهامه الموكل إليها فرش مصلى الجامع يومي عيد الفطر وعيد الأضحى حيث تفرش الطرقات ، كما يعلق الستار على المحراب يمينا وشمالا ليحجب الخليفة على أعين الناس ، كما إن المسئول عن تسجيل نفقات العيدين هو صاحب ايوان المجلس[59] .

وكانت في بعض الحالات يمنح الخلفاء الاقطاعات لمن حولهم فالخليفة الحاكم في عيد الفطر منح الاقطاعات للنواتية والمشاعلية والأقارب وغيرهم[60].

عيد النحر "الأضحى":

لقي عيد النحر نصيب وافر من الاحتفال ، ففي عهد الخليفة المعز كثرة قراءة القران والتكبير وكثرة الركوع والسجود وكانت الشمسة منصوبة على ايوان القصر[61] وبعد إن يفرغ

الخليفة من صلاة العيد يركب إلى المذبح حيث يكون الوزير وقاضي القضاة في انتظار وصوله حتى إذا ما وصل فيذبح بيده 31 ما بين الأبقار والنوق وفي اليوم الثاني كان يركب المذبح أيضا ويذبح بيده 27 رأسا كما كان يذبح في اليوم الثالث[62]، فكان لحم أول ذبيحة يحمر ويقدد ثم يرسل إلى والى المدينة فيوزعها بدوره على الشيعة هناك، أما لحوم باقي الأضاحي فتوزع على أرباب الأسر وطلبة العلم في مساجد القاهرة[63]، فكان الخروج ثلاث مرات في هذا العيد وكان يشترك في إجراءات النحر وكذلك الحال في عهد عبد العزيز فبعد خطبة العيد يأمر بان توزع أضاحي العيد كما احتفل الخليفة الظاهر بعيد النحر حيث سار في موكب إلى المصلى ثم صلى وخطب ثم أمر بنحر ناقة واتجه إلى قصره ثم أمر بنحر تسعا من النوق وفرق الأضاحي على رجال الدولة إلا إن الحالة الاقتصادية كانت سيئة جدا في عهد الظاهر حيث سرق العبيد ما وزعه من أضاحي العيد، وعندما أقام الخليفة سماط كبير صاح عبيد القصر: الجوع فنحن أحق بسماط مولانا ونهبوا السماط وفي اليوم الثاني أمر الظاهر بنحر ثلاثة عشر ناقة ثم وزعت وفي ثالث يوم العيد نحر خمسة عشرة ناقة ثم خمس نوق ووزعت .

وكانت توزع الكسوات والخلع على كبار رجال الدولة كما كانوا يمنحون الهبات المالية ويطلق على ذلك كسوة عيد النحر وكان يكثر اعطاء الصدقات والإحسان إلى الفقراء في عهد المستنصر[64]، هذا وان لباس الخليفة الفاطمي مميز في هذا العيد فيذكر ابن تغرى بردى إن اللباس الذي يرتديه الخليفة يوم عيد الأضحى هو اللون الأبيض[65] بينما يذكر القلقشندي والمقريزي إن الزي الذي كان يرتديه هو اللون الأحمر[66]، وان الخليفة يتجه نحو المنحر "مكان لنحر الأضاحي " فينحر الكثير كما توزع الأضاحي على المساجد ، ويقوم الخليفة بخلع وزيره ثوبا احمر يرتديه يوم العيد[67]، كما كان الخلفاء يرسلون الكتب إلى الولايات والأقاليم التابعة لهم يهنئونهم بمناسبة عيد النحر[68].

أما عن الأطعمة فيتم مد سماط مرة واحدة في عيد الأضحى وهذا خلاف عيد الفطر حيث يمد السماط مرتين[69] ونصب سماط في عهد العزيز بالله وخطب وصلى بالناس صلاة العيد ووزع الأضاحي على الناس[70].

وكانت الأسمطة في عهد الأمر بأحكام الله تقدم صحون ومناديل مذهبة بها تمر حيث توزع على كبار الدولة.

كما انفق الحاكم سبعة عشر ألف وستمائة دينار وذبح في النحر في ثلاثة أيام ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأساً منها مائة وثلاثة عشر نوقا وثمانية عشرة بقرة وخمسة عشرة جاموسا والبقية كباشا وبلغ ما أنفقه على أسمطة العيد ألف وثلاثمائة وست وعشرون دينار وثمانية وأربعون دينار على السكر .

وتبلغ نفقة الأسمطة في عيد الفطر والأضحى أربعة آلاف دينار، وفي ذي الحجة يمنع النسوة إن يلبسن السراويل فيرتدين سراويل فيها خمس شقاق وأخر من ثمانية شقاق .

وكان جملة ما ذبح في عيد النحر وعيد الغدير ألفين وخمسمائة وواحد وستون رأسا[71].

يوم عرفة:

كان الاهتمام بيوم عرفة كبيرا عند الفاطمي العراق. مر الخليفة المعز في ذلك اليوم بنصب الشمسة على ايوان القصر، وتبعث الشمسة بعد ذلك إلى الكعبة وتبلغ سعة الرداء اثنا عشرة شبرا مرصعا بالذهب والياقوت الأحمر والأصفر والأزرق ومكتوب عليها آيات الحج بالزمرد الأخضر .وقد حضر الاحتفال حشد كبير من مصر والشام والعراق .

وفيما هو جدير بالذكر إن الخليفة العباسي جعفر المتوكل على الله هو أول من عمل الشمسة حيث أرسل سلسلة من ذهب تعلق مع الياقوتة التي أرسلها للخليفة العباسي المأمون حيث كان قائده في العراق فقد سلمها إلى المختصين بأمور الكعبة فيتم تعليقها في اليوم السادس ويتم إزالتها يوم التروية كما كانت توضع الستائر على الكعبة وعليها اسم المعز كما وضعت محاريب الذهب والفضة داخل الكعبة المشرفة وكان الخليفة العزيز يهتم بيوم ذهاب الحجيج إلى مكة حيث انه في سنة 369 هجهز الحجيج وكسوة الكعبة والطيب والشمع والزيت وبلغت النفقات مائة دينار وفي يوم عرفة يعمل كل من صاحب الشرطة والمحتسب سماطين بهذه المناسبة[72] .

يوم عاشوراء – ذكرى مقتل الحسين في كربلاء في 10 محرم سنة 61هـ 680 م، يذكر إن رسولنا الكريم ﷺ في هجرته إلى المدينة وجد اليهود يصومون فسألهم عن هذا اليوم فذكر انه اليوم اغرق الله فيه فرعون ومن معه ونجى موسى عليه السلام ومن معه فقال الرسول – نحن أحق بموسى منهم فصام وأمر الصحابة بالصوم وأمر صحابته بالصوم[73] فلم فرض شهر رمضان فلم يأمرهم بصوم عاشورا ولم ينههم.

واستمر ذلك حتى العهد الأموي وفي موقعة كربلاء 10 محرم سنة 61هـ - 680 مقتل الحسين بن علي فاتخذ الشيعة هذا اليوم يوم يحيون ذكرى استشهاده[74] .

فمن المناسبات الدينية التي مارسها الفاطميون هو يوم عاشورا، وما يجد بالإشارة إليه إن الفاطميين وأثناء تواجدهم في المغرب لم يحتفلوا به اللهم إلا مجرد إلقاء الخطب، فكان المعز يقول لقاضيه النعمان " يقصد أهل السنة" .

"وأنهم جعلوه يوم عيد وسرور لما سنه الفسقة بنو امية ثم قال – لا تتخذوه يوم عيد وسرور كما اتخذه أعداء الله وأولياء الشيطان من أبناء مروان"[75] .

وكان الخليفة الفاطمي في يوم عاشورا يحتجب عن الناس ويسير في موكب القاضي والشهود حيث يلبسون ملابس الحزن باتجاه المشهد الحسيني بالقاهرة وسابقا تقام المناسبة في جامع الأزهر ، حيث تتم قراءة القران وينشد الشعراء قصائد الرثاء والحزن بخصوص الحسن والحسين ، كما ويكثر الناس من البكاء والنياح ويبالغون في ذلك وخاصة إذ كان الوزير شيعيا وإذا كان الوزير سنيا يتم التقليل من النواح والعويل وهم على ثلاث ساعات ثم يتجهون إلى الخليفة ، ويتم قراءة القران مرة أخرى ثم ينشد الشعراء الشعر الرثائي[76]، وكان الخليفة المعز قد منع إقامة الأفراح في هذا اليوم، وأمر بان يكون هذا اليوم يوم الخشوع التام[77]، فيحمل هذا اليوم الكثير من الحزن إلى درجة المغالاة والى حد الفوضى فيحدث نتيجة ذلك الاعتداء على أموال الناس وحرماتهم مما جعل الخليفة الحاكم بأمر الله يصدر امرا بمنع النساء من الخروج من ديارهن في تلك المناسبة .

كما انه في هذا اليوم يجتمع الشيعة لزيارة القبور وعلى سبيل المثل قبر كلثوم بنت محمد بن جعفر بن محمد الصادق ونفيسة بنت الحسن بن زيد أبن الحسن بن علي ابن ابي طالب حيث يكثرون العويل بالصراخ على الحسين[78] ويصف أبن تغرى بردى هذا العمل بالقبيح، لأنه مرتبط بالنواح واللطم والبكاء[79] ليس هذا فحسب بل كانوا يسبون كل من ينفق في هذا اليوم ويقومون بكسر أواني السقاءين في الأسواق، تضايق الكثير من الناس لتصرف الشيعة لان الحوانيت أغلقت والأسواق قد تعطلت وكادت إن تحدث فتنة بين الطرفين[80] وأزداد ذلك في سنة 363 هـ في عهد المعز وكان موكب الشيعة في طريقه إلى مسجد الريح ثارت ضدهم جماعة من الرعية إلا إن محمد بن عمار[*] منع الطرفان من الالتقاء وأغلق

الطرق وقد يستمر إغلاق الحوانيت حتى وقت العصر وبعد العصر يستطيع التجار فتح حوانيتهم .

وهذا حالهم من عهد المعز حتى عهد العاضد[81]، ويذكر المقريزي إن انفس الشيعة قويت لكون المعز بمصر.

وقد يتدخل قاضي القضاة في يوم عاشورا ففي سنة 396 وكعادة الشيعة في هذه الأيام من إغلاق الحوانيت وتعطيل الناس من الحصول على رزقهم وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة وهم يبكون في اليوم التالي جمع قاضي القضاة المنشدين الذين يكسبون من وراء النواح واخبرهم انه من أراد أحياء هذا اليوم "يوم عاشورا" فعليه الذهاب إلى الصحراء لإحيائه هناك إلا إن عدد من هؤلاء اجتمع في الجامع ثم خرجوا على عادتهم من النواح وسب السلف فقبضوا على رجلا منهم وقطعوا عنقه[82] .

ويتم في يوم عاشوراء إعداد سماطين الأكل يسمى سماط الحزن حيث يفرش السماط بالحصر وكانت السمة البارزة هي البساطة في كل شيء[83]، فيضم السماط العدس بالعسل والمخللات والاجبان بالزبادي والفطير وخبز الشعير وإذا حل الظهر يدعى الناس إلى السماط وإذا أكملوا يواصل الناس الطواف وهم يبكون في كل شوارع القاهرة ، هذا وكانت النسوة تشاركن في الاحتفال بيوم عاشوراء حيث ينشدن المراثي في الشوارع حزنا على مقتل الحسين ابن علي ، فاشتكى القضاة للخليفة الحاكم بأمر الله من سرقات النسوة أثناء مرور الموكب فأمر الخليفة بمنع الخروج وذلك استجابة للقضاة من ناحية واستجابة لرغباته الدينية[84].

في سنة 363 عيد يوم عاشوراء كما كان الخليفة المستعلي بالله يقيم هذه المناسبة حيث يكثر البكاء واللطم والنواح ويعطي أوامره بغلق الأسواق[85]، وكثير من الجوائز. في عاشوراء كانوا يخرجون للتعبير عن غضبهم من سوء أوضاعهم المعيشية .وليس حبهم في الحسين فيذكر المقريزي " تجمع الرعاع والعامة في يوم عاشوراء وجهروا بسب الصحابة وهدموا عدة قبور فسير الأفضل إليهم ومنعهم من ذلك وأدب والى القاهرة جماعة وضربهم"[86].

يوم غدير خم: من أعياد الشيعة حيث يرون أن النبي ﷺ بعد حجة الوداع 10هـ أوصى سيدنا علي وقال " علي مني بمنزلة هارون وموسى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " .

ويواكب هذا اليوم 18 ذي الحجة عام 352 هـ حيث انه لما رأى المعز تجمع عدد كبير من أهالي مصر والمغرب للدعاء في هذا اليوم فرح بذلك كثيرا .

وكانت تلبس الملابس الجديدة وتذبح الذبائح وتوزع الصدقات ويجتمع الناس في جامع القاهرة حيث يتواجد القراء والفقهاء ويبقون حتى الظهر ثم يخرجون لتوزع عليهم الجوائز .

كما احتفل به في عهد العزيز ويجتمع الكثير من الناس في جامع الأزهر ومعهم الفقهاء والقراء لإقامة احتفال كبير حيث يتلى القران الكريم ويكثر الانشاد والمواعظ ويوزع عليهم الخليفة الهبات[87] .

ومنع الحاكم الاحتفال بهذا العيد ، إلا إن الأمر بأحكام الله احتفل بعيد الغدير حيث سار في موكب في عيد الغدير لمشاهدة قصر الورد لاستعراض الجند وتوزيع الصدقات على طول الطريق وقد قدمت الأطعمة في اخر النهار ثم يرجع الخليفة إلى قصره .

وهذا يوضح مدى اهتمام الخلفاء الفاطميين بعد العيد حيث يجلس الخليفة فيمر موكب من الجند امامه ، وقد تطور الاحتفال في اواخر عهد الدولة الفاطمية حيث اصبح له رسوم خاصة وركوب يطلق عليه ركوب الغدير.

وكان قاضي القضاة يسرد ما قاله الرسول " ص " لعلي ابن ابي طالب ثم يقوم الجمع بتهنئة بعضهم بمناسبة عيد يرخم ويتم توزيع المأكل والملبس على الناس.

والواقع إن مسلمي السنة حاولوا اثارة الفوضى حيث إن الشيعة ارغموهم على اقفال اسواقهم وعند ذاك قرر السنة الاحتفال بمناسبة أخرى بعد عيد الغدير بثمانية أيام هي يوم 26 من ذي الحجة وفي هذا اليوم دخل الرسول وأبوبكر الصديق إلى غار ثور[88] .

الاحتفال بزيادة النيل: كان الاحتفال بزيادة النيل ونقصانه تقليد قديما متبعا لدى المصريين منذ اقدم العصور واستمر في العصر الاسلامي حيث ادخل عليه المسلمون بعد التعديل بما يناسب الشرع الاسلامي[89] .

ويحتفل الفاطميون بزيادة النيل اذا وصل إلى ستة عشر ذراعا حيث يأمر الخليفة بالنداء بزيادة النيل .

ففي عهد الخليفة المعز أمر بمنع النداء بزيادة النيل وإذا زاد يكتب إليه هو والقائد جوهر فقط ولكن لما أتمت الزيادة أمر بالنداء .

فيذكر المقريزي، إن كتمان الزيادة عند العامة اعظم فائدة واجل عائده لان التجار يكسدون الغلال ولا يبيعونها حتى ترتفع الاسعار حتى في حالة عدم طلوع النيل وذلك للحصول على فرق السعر أو يدخر الغلال لعياله وبالتالي يحدث القحط والجدب وعلى العكس اذا زاد النيل حيث تنخفض الاسعار .

وكان الخليفة المعز يقوم بمنح الهدايا لمتولي قياس النيل(*) حيث انه لما زاد الماء سبعة عشرة ذراعا واصبعين منحه الجائزة والخلع والحملان .

وكان يعطي لابن الرذاد خمسون دينار سنويا[90] وعند زيادة نسبة ماء النيل يحمل إلى المقياس كمية وافرة من الخبز والخراف المشوية والحلوى والشموع ويقرا المقرئون القران(132)، وكان قراء الحضرة يجتمعون في جامع المقياس حيث يختم القران ويقدموا لهم السماط بالأطعمة المتنوعة وتوقد الشموع حتى الصبح ، وفي سنة "457 – 464 هـ / 1065 – 1069م" وذلك في عهد المستنصر بالله فقد تعرضت البلاد إلى ازمة اقتصادية خانقة وبلاء شديد حيث كان النيل يطلع وينزل مدة سبع سنوات[91]، وعرفت هذه الفترة بالشدة المستنصرية حيث ارتفع ثمن الخبز فاضطر الناس إلى اكل القطط والكلاب بل واكلوا بعضهم بعض[92] .

وحدثت هذه الأزمة في الفترة الثانية من خلافة المستنصر بالله وكان للازمة سببان هما: اقتصادي وسياسي مما اضطر الخليفة إلى طلب المساعدة من امير الجيوش بدر الدين الجمّالى، ومما زاد الامور سوأ رفض بيزنطة تقديم الغلال لمصر فنتج عن ذلك انتشار المجاعة بين الناس، ويذكر إن احد الوزراء ترك بغلته عند باب الخليفة فسرقها ثلاثة من الناس وذبحوها ثم اكلوها فغضب الوزير فقتلهم وفي الصباح وجدت عظامهم فقط وازدادت الازمة الاقتصادية سواء بضعف الحكومة والوزراء وانحياز الخليفة المستنصر لأبناء عمومته من السودان وواكب ذلك حرب بين الترك والسودان فانتصر فيها الترك وتعطلت الزراعة وعندما ارتفع منسوب مياه النيل لم تجد الارض من يفلحها إضافة إلى ذلك انفراد الاتراك بالأمور وتجرئهم على الخليفة، الأمر الذي جعله يستعين بأمير الجيوش الجمّال فتسهلت الامور ورفع البلاء عن الناس[93].

ويذكر إن الازمة الاقتصادية الخانقة من جراء انخفاض منسوب مياه النيل عن ارتفاعه حدثت في عهود كلا من الحاكم بأمر الله في سنة 387 / 993 وكذلك في عهد

المستنصر بالله والامر بأحكام الله ووزارة الافضل والحافظ ثم الفائز فاثر ذلك على الزراعة وقلت الاقوات[94].

وفي بداية حكم الأمر بالله اهمل الاحتفال بزيادة منسوب النيل إلا انه عاد الاهتمام بذلك حيث سكن في منظرة مطلة على خليج القاهرة وامر الحاكم في سنة 518 بتشييد دارا واسعة ليتفرج الناس فيها عند كسر الخليج وتكون بالإيجار وكان الخليفة الأمر بالله محبا للاحتفالات والأعياد[95].

الاحتفال بيوم فتح الخليج: يوم كسر الخليج أو وفاء النيل وتحليق عمود المقياس يكون الاحتفال بعد ثلاث أو اربع بعد التحليق واذا بلغ منسوب المياه ستة عشرة ذراعا ووصل في عهد المعز سبعة عشر ذراعا، واذا بلغ منسوب المياه ستة عشر ذراعا يسير الخليفة بالموكب مع وزيره مصحوبا بالزينة والعساكر والسلاح حتى يصل إلى المقياس[96]، ويقرا المشائخ القران الكريم في تلك الليلة بجامع المقياس[97] وكذلك الحال في عهد عبد العزيز والحاكم والظاهر في كل سنة لفتح الخليج،وفي سنة 417هـ زاد منسوب النيل في عهد الظاهر فتصدق بمائة الف دينار[98] وكان الخليفة المستنصر بالله يحتفل بيوم وفاء النيل حيث يقام احتفال كبير يخرج فيه الخليفة مرتديا ثوبا من حرير مزركش بالذهب ويسير معه عشرة الاف فارس على خيول مسرجة ومذهبة وتتبعهم جمال مزينة ويشارك معهم موظفي الدولة والشعراء والعلماء والأمراء[99] .

فيذكر ناصر خسروا إن فتح الخليج " وفاء النيل " من اعظم الأعياد في مصر ويخرج الخليفة في موكب حافل وقد ارتدى ثوبا من حرير مرقوم بالذهب[100] .

فيكون ذلك احتفالا وينشد الشعراء اشعارهم[101] ، ويذكر إن ركوب الخلفاء كل سنة لفتح الخليج[102] ، بعد إن يفتح الخليج وتتدفق المياه ويركب الناس الزوارق كما يمد سماط على شاطئ النيل وبه مختلف أنواع الأطعمة ثم يرجع الخليفة إلى القصر[103]

وقد منع الحاكم الاحتفال بفتح الخليج لأنه يترتب عليه اللهو والمجون فامر بسد الطيقان المطلة على الخليج ومنع الناس من ركوب المراكب في الخليج.

ويذكر المقريزي انه في سنة 364هـ كسر الخليج ولم يركب إليه المعز[104]، أي أنه إذا لم يصل منسوب المياه إلى درجة معينة فلا يكون هناك احتفال وتصل نفقات جبر الخليج إلى الفي دينار[105]، وفي الاحتفال بجبر الخليج كان يقام سماط عظيم في سرادق شاطئ

النيل على مقربة من المنظرة المعروفة بمنظرة السكرة التي كان يجلس فيها الخليفة وكان يأكل على هذا السماط من يدعوهم الخليفة ومن يتبعهم وعدد كبير ممن كانوا يسيرون وراء الموكب(106).

وكانت هناك عادة وهي كتمان زيادة منسوب النيل وفائدة لكافة الناس من الناحية الاقتصادية حيث انه عدم زيادة المنسوب تدفع التجار إلى زيادة الاسعار على الناس بل بلغ الأمر إلى إن بعضهم وخاصة من عنده المال يقبل على شراء الحبوب ثم يقوم بخزنها بغرض التجارة أو اطعام اسرته مما يحدث خلل في الاسواق وتنذر الغلال.

ويذكر إن الخلفاء يهتمون كثيرا بهذا الموسم اهتمام كبير اكثر من كل المواسم ، وكان اذا حصل وفاء النيل يفرح الخلفاء ويبتهجون بذلك ويحمدون الله على ذلك ويكتبون إلى العمال وذلك ليقدم هؤلاء بدورهم التهنئة للخليفة الفاطمي[107] .

الاحتفال بليلة مولد النبيﷺ:

احتفل الفاطميون بعدة أعياد ومن بينهم عيد ميلاد أهل البيت كالمولد النبوي ومولد الحسين والسيدة زينب[108]، وفي ليلة المولد يتم قراءة سيرة النبيﷺ في الجوامع[109] ومما هو جدير بالذكر إن الاحتفالات قد عادت من جديد سنة 510 هـ – 1122 م أي في عهد الأمر بأحكام الله غير إن الوزير بدر الدين الجمّالى وابنه الافضل منعوا الاحتفال بالمولد النبوي والأعياد الشيعية ومنها عيد ميلاد الامام الحاضر حتى نسي ذكرها على حد قول ابن الطوير[110]، ففي عهد الأمر بأحكام الله جرى الاحتفال بالمولد حيث وزعت الزلابية سمك البوري ووزعت الأموال[111]، إلا إن ابن حماد ذكر إن الخليفة الأمر ابطل الموالد الاربعة وهم : مولد المصطفى ﷺ، والامام علي ومولد السيدة فاطمة ومولد الامام الحالي[112].

وفي المولد النبوي يصنع عشرون قنطار من الحلوى حيث توضع ثلاثمائة جنيه وتوزع في الازهر.

وكانت توزع الصدقات والاطعمة بهذه المناسبة يدفعها اهالي المذهب الشيعي وتبلغ ستة الاف درهم ، فكان كاتب الانشاء يوزع أربعمائة رطل من حلاوة والف رطل خبز على الفقراء[113].

ويجري الاحتفال بعد صلاة الظهر 12 ربيع الاول حيث يتجه قاضى القضاة على راس موكب كبير إلى جامع الازهر ويتم تلاوة القران الكريم ثم يعود إلى الموكب ومنه إلى القصر وعندها يبدا الاحتفال في القصر بقراءة القران الكريم[114].

هذه هي مظاهر اوائل الخلفاء الفاطميين الذين كان لهم ولع خاص بالإنفاق وقد نهج خلفائهم نهجهم وزادوا عليهم في البذخ وانعكس ذلك في المظاهر الاحتفالية الخاصة بالأعياد والمواسم المختلفة فأصبحت حياتهم اعراس وأعياد .

الاحتفال بخميس العهد: يحتفل به قبل عيد الفصح بثلاثة أيام ويسميه أهل مصر بخميس العدس، وكان من عادة النصارى طبخ العدس ، ويطلق عليه أهل الشام خميس الارز أو البيض .

وكان المسلمون والنصارى يتبادلون الهدايا والاطعمة المتنوعة كالبيض الملون وانواع السمك، ويخرج أهل الاسكندرية إلى المنارة حاملين اطعمتهم ويبقون حتى منتصف النهار[115] .

ويذكر المقريزي انه كان يضرب برسم خميس العدس من الخراريب خمسمائة دينار وعشرون الف خروبة وانها لم تضرب في خلافة الحافظ غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسي ذكرها، وفي خلافة الأمر بأحكام الله ضربت في عدة اماكن من القاهرة ومصر والاسكندرية.

ففي عهد الأمر ضرب في خميس العدس الف دينار عملت عشرون الف خروبة وكانت في العادة إن يضرب في كل سنة خمسمائة دينار[116].

ويمتاز الاحتفال بالهدايا التي ينالها كبار موظفي الدولة وغيرهم كما تصدر الدولة عملة صغيرة تسمى خراريب في هذا العيد حيث توزع على أهل الدولة[117] .

الاحتفال بعيد راس السنة الهجرية: يحتفل في العشرة الاخيرة من شهر ذي الحجة في كل عام، حيث يقومون بإخراج الاسلحة المحلاة بالذهب والفضة والجواهر والخيول إضافة إلى الطبول التي تحمل على البغال ومن الاصطبلات مائة فرس مسرجة بالذهب والفضة والجواهر وفي اعناقها اطواق مذهبة وقلائد العنبر، وكان كبار رجال الدولة يمتطون الخيول حسب مكانته كل واحد فيهم[118] وفي اليوم التاسع والعشرين يخرج الخليفة ممتطيا خيلا

قاصد السد ويجلس محجوبا بالستائر كما يخرج الوزير ومعه الامراء والحاشية قاصدين مكان الخليفة حيث تتم تلاوة القران الكريم.

ويذكر إن الخليفة يرتدي زي فخم ويوزع الدنانير كما يعمل سماط كبير بالقصر للاعيان، توزع الخراف المشوية والزبادي والحلوى والخبز وارز بلبن والسكر[119] وكانت توقد النيران وتوزع الحلوى القاهرية والزلابية وماء الورد وسمك البوري على كبار موظفي الدولة وتزين الطرقات والحوانيت بالفوانيس، كما كان يعطى للفقراء فوانيس يحملونها ولهم درهم مقابل لهذا العمل[120]، وتباع في هذا العيد الشموع المزهرة والتماثيل، والاقباط هم من يحتفل بعيد الميلاد حيث شاركهم الفاطميون في ذلك ، فكانت توزع الحلوى وصحون الزلابية على كبار رجال الدولة والأمراء، وكانت هناك صناديق الانفاق تُعد لهذه المناسبة حيث توزع الدنانير والدراهم على رجال الدولة والحاشية .

ليالي الوقود: واصل الاحتفال بليالي الوقود يرجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فكان يصيح في أهل مكة " اوقدوا ليلة هلال محرم[121]، أي يأمرهمبإيقاد ليلة هلالمحرم وذلك لحراسة الحجيج هذه الليلة حتى يصبحوا[122] .

فليالي الوقود هي ليلة الاول من رجب وليلة نصفه وليلة الاول من شعبان وليلة نصفه[123]، فليالي الوقود تسبق أول منتصف شهري رجب وشعبان وكان الشيعة يصومون في بعض من هذين الشهرين ، وتصبح المساجد في ليالي الوقود مضيئة بعد الغروب حيث يخرج موكب يتقدمه قاضي القضاة نيابة عن الخليفة وهو يمتطي جوادا ويحيط به الحجاب والقراء ومؤذني المساجد وبأيديهم الشموع المضيئة يقرئون القران الكريم ويواصل الموكب سيره إلى إن يصل دار الوزير كما كان يحرص هذا الموكب رجال الشرطة .

وتكثر الحلوى في الاسواق[124]، وخاصة في القاهرة والفسطاط فهي عامرة بهذه المناسبة حيث تباع الحلوى على شكل مجسمات حيوانية ويقبل الناس على شرائها[125] كما تباع اصناف من الطعام ويطاف عليهم مجامر البخور المعطرة، المصنوعة من الذهب والفضة، فهذا فرصة للأهال يللاحتفال وادخال البهجة على قلوب اطفالهم حيث يلعبون ويمرحون.

وقدمت في عهد الأمر بأحكام الله الحلوى المحشوة باللوز على هيئة حلقة تسمى الخشكنان، وكان هذا الخليفة يعطي خمسون دينار لوزيره لشراء الشموع لليالي الوقود ، كما

كان الخليفة العزيز يرسل إلى الحاضرين في هذه المناسبة الأطعمة والحلوى، وكان صاحب بيت المال في عهد الخليفة الحافظ يرسل في كل ليلة من ليالي الوقود كميات من الحلوى والقطائف المحشوة باللوز والسكر إلا إن الأمر اختلف في عهد الحاكم حيث منع الاحتفال بهذه المناسبة ومنع المبيت داخل جامع الازهر وسمح للناس الاكتفاء بتقديم الصدقات للمحتاجين، وكان الخليفة الظاهر يحضر بنفسه صحبة عائلته وسائر الناس هذه المناسبة.

ومن الجوامع التي يخرج اليها الناس في ليالي الوقود جامع القرافة وتقدم الصدقات للمحتاجين ويقام فيه سماط كبير وتقام حلقات مواعظ وارشادات كما في باقي الجوامع[126]، وكانت تسك عملة جديدة تسمى الغرق تم سكها في العشرة الايام الاخيرة من ذي الحجة حيث توزع على جميع رجال الدولة حسب وظيفة كل واحد فيهم [127].

ومما هو جدير بالذكر إن الفاطميين لم يحتفلوا بالأعياد الشيعية اثناء وجودهم بالمغرب حتى إن القاضي النعمان لم يذكر شيئا عن الأعياد إلا اشارات عن القاء خطبة للنعمان بمناسبة ذكرى عاشوراء[128] .

عيد الخروج لسجن يوسف بالجيزة: شارك الخليفة الظاهر في هذا العيد حيث يجري الطواف وقرع الطبول فكانوا يجمعون الأموال للإنفاق على خروجهم إلى السجن في تلك الفترة مرت البلاد بأزمة اقتصادية كبيرة عام 415هـ – 1025م فكان من الصعب الإنفاق على هذا العيد، حيث رفض التجار منح الأموال في هذا العيد فأمرهم الخليفة الظاهر بإعطاء الأموال على أن تعوضهم الدولة ضعف ما دفعوا فيما بعد، وحضر الخليفة الظاهر عيد الخروج إلى السجن معه خاصته وحرمه[129] .

عيد النيروز: شارك الفاطميون النصارى في أعيادهم ومنها عيد النيروز الذي يستأنف في بداية الربيع، منع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الاحتفال بهذا العيد لأنه يتم فيه تعاطي الخمور علنا وعندما انتقل المعز إلى مصر وجدهم يحتفلون بهذا العيد، فمنعهم من صب الماء وإيقاد النيران، إلا أن المعز في العام التالي سمح لهم بالاحتفال بهذا العيد ومن مميزات هذا العيد انه يستمر ثلاثة أيام متوالية ويبدأ اللعب برش الماء على بعضهم وإيقاد النيران، وعندما خرجوا عن الحد أمر المعز بالكف عن ذلك، وعندما وجد جماعة يعملون ذلك حملوا على الجمال وطيف بهم في الأسواق ثم دخلوا السجن[130]، واستمر الاحتفال بعيد النيروز

في عهد الخلفاء الفاطميين ومن بينهم العزيز كذلك الحاكم، كما إن الخليفة الأمر عندما احتفل في سنة 517هـ حيث صنعت الكسوة الخاصة بالنيروز في دار الطراز كذلك صنعت كسوة للرجال وأخرى للنساء كما كانت تجهز الفواكه والتمور والخبز ولحم الدجاج والضأن والبقر، فكان الأمر يسير في موكب إلى منظرة اللؤلؤة المطلة على الخليج حيث يجلس ويشاهد مظاهر اللهو والتراشق بالماء والخمر، وفي هذه الليلة توزع الكسوة على كبار رجال الدولة وأولادهم ونسائهم وتتعطل فيها الأسواق[131] وكانوا يهنئون بعضهم في هذا العيد فقد قال تميم بن المعز مهنئا الخليفة العزيز بمناسبة النيروز بقصيدة :

أراني إذا هديت فيك قصيدة – من المدح وأتانِ الكلام المهذب
فان طاب نوروز وعيدا فإنما – بنورك أضحى ذا وذا وهو طيب[132] .

وجرى الاحتفال بالنيروز حتى في بلاد المغرب ، فهم ينفقون أموالا كثيرة كما يكثرون من الرياحين ويبيعون الليمون الحلو وقد انتقل هذا العيد من مصر إلىأفريقيا والمغرب[133].

يوم الغطاس: وهو عيد خاص بالنصارى وكان من عادة الأقباط تغطيس أولادهم في الماء ويطلقون عليه يوم الحميم وفي العصر الفاطمي كان قائد الشرطة يخرج في موكب مرتديا ابهى اللباس ويطوف بالطرقات مناديا في الناس حتى لا يختلط النصارى بالمسلمين وحتى يمارس الناس طقوسهم في امان إلا انه قد يختلط الاثنان حيث من الصعب التفريق بينهما . ولقد منع الخليفة المعز سنة 362 هـ – 972م الاحتفال بليلة الغطاس لما يرافقه من بغي وفساد ثم عادو يحتفلون بهذا اليوم في عهد العزيز لأنه كان متسامح معهم إلا انه في سنة 367 هـ – 977م اصدر أوامره بمنع الاحتفال وهدد من يحتفل بالنفي خارج القاهرة .

ومنع الخليفة الحاكم سنة 388هـ في البداية الاحتفال بهذا العيد وكان يحضر وهو متنكر طقوس الاحتفال حيث تنصب الخيام على شاطي النيل فكان يحضر الغطاس الكاتب النصراني فهد بن إبراهيم حيث كثر اللهو والغناء إلا انه عندما شاهد بنفسه سنة 400 هـ – 1009 م المظاهر المرافقة للاحتفال من اللهو والانحلال منعه وجدد المنع سنة411 هـ[134].

فالخلفاء الفاطميون لم يشاركوا في مظاهر الاحتفال حتى الحاكم ولعل ذلك راجع إلى تحفظهم من الانغماس في مظاهر العبث لأنه يتم علنا شرب الخمر والفسق وهذا يضعف من هيبة الخلفاء ويعطي الفرصة لأعدائهم بالهجوم عليهم والتشهير بهم، لذلك نرى معظم خلفاء هذا العصر منعوا من الاحتفال بعيد الغطاس، فالمعز فرض عقوبة الإعدام لمن

يحتفل بهذا العيد كما إن العزيز حذر الناس من الاحتفال أما الظاهر فسمح لهم لكن أمر بعدم الاختلاط بين المسلمين والنصارى، بل إن هذا الخليفة شارك في يوم الغطاس حيث عملت الخيام له ولعائلته وحضر الرهبان والقساوسة وتم إيقاد النيران وإشعال المشاعل ليلا ويتم في هذا اليوم تبادل الحلوى بين الناس ويوزع الليمون والقصب وسمك البوري[135] .

ومن المناسبات التي يقيم بها الفاطميون هي الطهور "الختان"[136] إضافة إلى احتفالات الزواج[137].

في النهاية وصلت احتفالات الفاطميين إلى درجة الإسراف والمبالغة فيذكر ابن حماد "إن ما أنفقه الفاطميون في المظاهر والمزارات من مال الأمة ليس دليلا على الرخاء بل هو دليل على السفه والاستغلال والنظر إلى أموال الأمة على إنها أموال لهم"[138] .

فالخليفة الأمر انفق مبالغ كبيرة جدا إضافة إلى مصروفات الوزير وإخوته وأولاده وموظفي الدولة[139] .

ومما هو جدير بالذكر إن حياة الخلفاء الفاطميون في مصر اختلفت عنها في المغرب، فكانت في المغرب حياة التقشف لأنهم اشتهروا بالخشونة والغلظة ولم يكن لديهم الوقت لكل هذه الاحتفالات حيث يذكر إن المعز استدعى شيوخ كتامة ليشاهدوا كيف يعيش حياته في يوم قارص البرودة وذكر لهم إن البعض يظن إننا نعيش حياة مترفة فنأكل ونشرب ونستخدم الحرير وذكر لهم إن حياتهم متقشفة[140]، لأنهم انشغلوا في إخماد الثورات في المغرب، إن حياة الفاطميين في المغرب اختلفت كليا عن حياتهم في مصر[141].

وفي خاتمة البحث نجد أن الاحتفالات المتنوعة التي اقامها الفاطميون بلغت درجة من الإسراف والمبالغة.

إن الدولة الفاطمية دولة دعوية ودعاية فهي تدعو إلى مذهب معين في ظل أناس لا يتحمسون له لذلك توسعوا في الاحتفالات لإلهاء الرعية السنة عن أمور السياسة وما يقال في الطعن في نسبهم وأحقيتهم في الخلافة فأكثروا من الاحتفالات التي أغدقوا الأموال بسخاء وإسراف على العام ويقام فيها الأسمطة الضخمة .

إن الاحتفالات التي أقيمت كانت أعياد بالنسبة للشعب فقد نالوا الكثير من الصدقات والأطعمة وتنافس الشعراء في إلقاء ما لديهم من قصائد .

الهوامش:

- الأسمطة: خشب مدهون ويكون عاليا يجمع كثير من الاواني ويرص الخبز علىحاشيته وبالسماط إحدى وعشرين طبق، ينظر المقريزي تقي الدين، الاثار المعروفة بالخطط المقريزية دار صادر بيروت الخطط ج1 ص387

1/ الاعظمي، محمد حسن، ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1957 ص 344 .

2/ المقريزي تقي الدين ،الخطط المقريزية ج2 ، ص490 ، مبارك، على الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها في دار المكتبة الاميرية بولاف 1306 ج ،1 ص11.

3/ المقريزي بردى،الدين اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، محمد عطاطا دار الكتب العلمية بيروت، ج1 ، ص321 .

4/ ابن تغرى بردى، جمال الدين، النجوم الزاهرة لملوك مصر والقاهرة قدم له وعلق عليه محمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1992، ج4 ص107 ، 224

5/ المقريزي بردى،المقريزية ج1 ص465 ، اتعاظ الحنفاء ج2 ص181 ، 205

6/ نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، اعاد بناءه و حققه وقدم له ايمن فؤاد، ط1، دار النشر 1992، ص81

7/ابن تغري بردى ، المصدر السابق، ج4، ص107

8/ العبادي احمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة بيروت، ص261

9–المقريزي ، الخطط المقريزية ج1 ص491 ، المقريزي اتعاظ الحنفاء ج2 ص82

10–المقريزي ، الخطط المقريزية ج1 ص353 ، القلقشندي ، ابي العباس صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الأميرية القاهرة 1914 ج3 ص503 ، 520 .

11–القلقشندي بردى، العباس ، المصدر السابق ج3 ص503 .

12–ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ج4 ص109 .

13–المقريزي الخطط المقريزية ج1 ص491 ، ج2 ص ، 217 ، 387

14–الاعظمي المرجع السابق ص344 .

15–المقريزي الخطط المقريزية ج2 ص7 .

16–المقريزي المصدر السابق ج1 ص491 ، ج2 ص348.

*يعقوب بن كلس هو يعقوب بن كلس : ولد ونشا بالعراق حيث تعلم الكتابة والحساب ثم انتقل به والده إلى مصر سنة 330 ه واعتنق ابن كلس الدين الإسلامي وتولى الوزارة سنة 356 هينظر ابن

خلكان ، أبي العباس، وفيات الأعيان حقق أصوله وكتب هواشه يوسف طويل وزميله ، ط2 دار الكتب العلمية بيروت 2012 ج5 ص343

17–حسن،لطوير، المصدر السابق ص74

18–العبادي ، احمد، المرجع السابق ص 261

19–المقريزي الخطط المقريزية ج1 ص387 ، ج2 69 ، 96

20–حسن، حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر راجع الترجمة محمد أفندي وزميله، المطبعة الأميرية القاهرة 1932 ص289

21–أيوب،إبراهيم رزق الله، التاريخ السياسي الفاطمي ط1، منشورات جامعة سبها 1996، ص 164.

22–المقريزي ، الخطط المقريزية ج2 ص205 .

23–ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج4، ص107 .

24–الخطط المقريزية، ج1 ص333، 393 ، 492

25–المقريزي ، اتعاظ الحنفاء، ج1 ص339 ج2 ص 23 ، 103

26– ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب تحقيق ومراجعة ج . كولان واليفي بروفنسال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009 ، ج1 ص127

27–ابن حماد ، أبو عبدا لله، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة التهامي نقرة وزميله عالم الصحوة للنشر، دار العدالة القاهرة ، " د.ن " ص50

28– ابن حماد المصدر، السابق ص97، ابن تغرى بردى، المصدر السابق ج4، ص178، المقريزي الخطط المقريزية، ج2 ص343

29–المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ج1 ص372

30–ابن تغرى بردى ، المص30،لسابق ج4 ص 178 ، 224 ، الانطاكي، يحيى، تاريخ الانطاكي، حققه ووضع فهارسه عمر تدمري، لبنان، 1990، ص268، 278.

31–حسين محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية دار الفكر العربي، ص30 ، 31

32–احمد حسن خضيري، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ط1 ، مكتبة مدبولي ، 1996 ص 27 ، 272

33–المقريزي الخطط ج1 187 ، الدشراوي ، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب نقله إلى العربية ، حمادي الساحلي ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان 1994 ص387 ، البيلى محمد بركات ، صفحات من تاريخ الدولة الفاطمية 2007 ص93

334- المقريزي ، الخطط ، اتعاظ الحنفاء ج1 ص138 ، 165 ، 206 ،372

35- حسين كامل محمد، المرجع السابق، ص191

36- المقريزي الخطط ب ج1 ص 490 ،491 ، اتعاظ الحنفاء ج1 ص200 ، ج2 ص82القلقشندي، صبح الأعشى، ج3ص505

37-المقريزي اتعاظ الحنفاء، ج1 ص200 ، ج2 ص82 ، الخطط ج1 ص490 ، 491

38-القلقشندي ، المصدر السابق ج3 ص512

39-المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ج1 ص206 ، المقريزي الخطط ج1 ص53

40-ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ج4 ص88 ، 98 ، القلقشندي، المصدر السابق ج3 ص513 .

41-المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ج1 ص206 ، ج3 ص82 ، الخطط ج1 ص452

42-الدشراوي ، المصرية،رجع السابق ص 428

43-عنان محمد عبد الله مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1931 ص 81

44-المقريزي الخطط ج1 ص 451 ، 452، 224،زي اتعاظ الحنفاء ج1 ص 138 ، ابن تغرى بردى المصدر السابق ج5 ص 177، القلقشندي، المصدر السابق ج3 ص509.

45-ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص 224 ،

46- المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ج2 ص31 ، المقريزي ، الخطط ص451

47-ابن تغرى بردى المصدر السابق ج5 ص175

48-الخطط المقريزية ج2 ص 248

49-المصدر السابق ج5 ص5

50-المقريزي الخطط ج1 ص454 ، ج2 ص443 .

*الإيوان بناه الخليفة العزيز بالله سنة 369 وكان الخلفاء الفاطميين يجلسون يومي الاثنين والثلاثاء في الإيوان إلى أن نقل الخليفة الأمر إلى قاعة الذهب المقريزي ، الخطط ج1 ص 387 ، 388 ، ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص101

51-ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص101 ، المقريزي الخطط ج1 ص387

52-المقريزي الخطط ج1 ص455

53-خضيري حسن احمد المرجع السابق ص286

54–المقريزي الخطط ج1 ص195، اتعاظ الحنفاء ج2 ص95 ، ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص117

55–ابن تغرى بردى، المصدر السابق ج4 ص 126،117، 127

56–القلقشندى ، المصدر السابق ج3 ص528

57–المقريزي المصدر السابق ج2،ص195، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق ص263

58–احمد عبد الكريم ناريمان المرآه في مصر في العصر الفاطمي د.ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993 ص46.

59–ابراهيم رزق الله المرجع السابق ص157 ، 158 ، 165 .

60–النواتية الذين يجدفون به في العشارى والمشاعلية الذين يقومون بإعمال الإضاءة وخاصة في الإسكندرية وضواحيها ، انظر المقريزي المصدر السابق ج1 ص393 .

* الشمسة حلية ضخمة لغطاء الكعبة المشرفة وهي تشبه الشمس ولها اثنا عشرة ذرع ، انظر المقريزي المصدر السابق ج1 ص208 .

62– ابن الطوير ، المصدر السابق ص74 ، حسن إبراهيم ، المرجع السابق ص288

63–القلقشندي المصدر السابق ج3 ص515 ، 516 .

64–المقريزي الخطط المقريزية ج1 ص354 ، 436 ، 851 ، المقريزي اتعاظ الحنفاء ج2 ص35 ، ج3 ص95 .

65–المصدر السابق ج4 ص102

66–القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص515 ، المقريزي الخطط، ج2، 456 .

67–ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج4، ص102 ، 103 .

68–خضيري ، المرجع السابق ص273 .

69– ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج4 101 ، المقريزي الخطط ج1 ص388

70–المقريزي المصدر السابق ج1 ص311 ، ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص103

71–المقريزي الخطط ج1 ص، 385 ، 388 ،436 ، ج2 ص181 ، 196

72– ، المقريزي اتعاظ الحنفاء ج1 ص208 ، المقريزي الخطط، ج1، ص278 ، 294 ، 336

73– ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص104 .

74–البيروني أبي الريحان محمد الاثار الباقية عن القرون الخالية تحقيق ∴ برويز اذكائي همدان 1379 ص421 .

75– خضيري ، حسن المرجع السابق ص276 .

76–ابن تغرى بردى،المصدر السابق، ج5 ص152، 153 المقريزي، الخططج1 ص427.

77–الدشراوي ، فرحات المرجع السابق ص427 .

78–المقريزي ،اتعاظ الحنفاء ج1 ص220 ، 230 الخطط ج1 ص428 ، ج4 ص58

79–المصدر السابق ، ج4 ص58 ، 61

80 – المقريزي اتعاظ الحنفاء ج1 ص210 ، الخطط ج1 ص431

81–ابن تغرى بردى المصدر السابق ج5 ص153 ، المقريزي الخطط ص432

82–المقريزي الخطط المقريزية ج1 ص431

83– ابن تغرى بردى المصدر السابق ج5 ص153 ، عبد الكريم ،ناريمان المرجع السابقص87 ، دعكور عرب تاريخ الفاطميين والزنكيين والايوبيين والمماليك ، منتدى سور الازبكية بيروت 2010 ص53 ، 118

84–المقريزي الخطط ج1 ص431 ، ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ج5 ص152 ،

85–ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص109

86– المقريزي اتعاظ الحنفاء ج3 ص20 ، 21

*غدير خم وهو على بعد ثلاثة اميال من الجحفة بين مكة والمدينة انظر المقريزي الخطط ج1 ص388، ابن تغرى برى المصدر السابق ج4 ص26

87–المقريزي اتعاظ الحنفاء ج1 ص 209 ، الخطط ج1 ص388 ، القلقشندي المصدر السابق ج13 ص 241 .

88– المقريزي اتعاظ الحنفاء ج2 ص205 ، الخطط ص61 ، 467 ، 389 ، 390

89–القلقشندي المصدر السابق ج3 ص299 ، الخطط ج1 ص58 ، 476 .

90– المقريزي الخطط ج1 ص61 ، اتعاظص103،اء ج1 ص267 ،ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص73

91–ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص103 ، ج5 ص5

92–عبد الكريم ناريمان المرجع السابق ص93

93–العبادي احمد المرجع السابق ص301 ، 302

94–عبد الكريم ناريمان المرجع السابق ص93

95–ابن الطوير ، المصدر السابق ص83

96–المقريزي الخطط ج1 ص267 ، 431 ، 469

97–ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص103

98-المقريزي الخطط ج1 ص355 ، 469

99- خضيري حسن المرجع السابق ص284

100- المصدر السابق ص52

101-ابن تغرى بردى المصدر السابق ج4 ص105

102-المقريزي الخطط ج1 ص469

103-البيروني المصدر السابق ص329 ، المقريزي الخطط ج1 ص431، خسرو ناصر، المصدر السابق ص55

104-المقريزي الخطط ج1 ص273 ، 387

105-ابراهيم رزق ايوب المرجع السابق ج1 ص273

106-القلقشندي المصدر السابق ج3 ص20

107-المقريزي الخطط ج1 ص61 ، 476 ، 480

108-العبادي ، المرجع السابق ص261 ، كامل محمد المرجع السابق ص153

109-المقريزي الخطط ج1 ص433

110-المصدر السابق ص82

111-المقريزي الخطط ج1 ص208 ، ج2 ص211 ، القلقشندي المصدر السابق ج3 ص503

112-المصدر السابق 73

113-القلقشندي المصدر السابق ج3 ص502، 503 ، المقريزي الخطط ج1 ص432

114-القلقشندي المصدر السابق ج3 ص499

115-المقريزي ، المصدر السابق ج2 ص266 ، 285 ، 495 ، اتعاظ الحنفاء ج2 ص463

116-الخراريب جمع خروبة ولكل خروبة الف ذراع المقريزي الخطط ج1 ص68 ص495

117-عبد الكريم ناريمان ، معاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996 ص285

118-القلقشندي المصدر السابق ج3 ص500 ، المقريزي الخطط ج1 ص446 ، 447

119-المقريزي الخطط ج1 ص490 ، 494 ، 495

120-القلقشندي المصدر السابق ج3 ص501 ، 502 ابن الطوير المصدر السابق ص75 ، المقريزي الخطط ج1 ص494

121-المقريزي اتعاظ الحنفاء ج1 ص195 ،الخطط ج1 ص446، 466

122-خضيري احمد المرجع السابق ص275

123–القلقشندي المصدر السابق ج3 ص501 ، المقريزي الخطط ج1 ص466 ، 467

124–حسن ابراهيم حسن المرجع السابق ص271

125–القلقشندي المصدر السابق ج3 ص499

126–المقريزي الخطط ج1 ص 445 ، 466 ، المقريزي اتعاظ الحنفاء ج2 ص151، ابن الطوير المصدر السابق ص82

127–القلقشندي، المصدر السابق ،ج3 ، ص505

128–المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وزميله ، ط1 بيروت لبنان 1996 ص397

129–عبد الكريم ناريمان المرجع السابق ص171

130–المقريزي ، الخطط ج1 ص264 ، 268 ،273 ، 493

131–المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ج1 ص214 ، 224 ، الخطط ج1 ص467 ، 492 ، 493، القلقشندي المصدر السابق ، ج2 ص410 ، 419

132–الاعظمي المرجع السابق ص51 ، 52

133–ابن ابي دينار ، المصدر السابق ص96

134 –المقريزي اتعاظ الحنفاء ج1 ص242 ، 266 ، 995 ، الأنطاكي المصدر السابق ص196

135–المقريزي الخطط ج1ص 494 ، 495

136– القلقشندي المصدر السابق ج9 ص374 ، القاضي النعمان المصدر السابق ص558

137– المقريزي ، الخطط ، ج1 ص100 ، اتعاظ الحنفاء ج1 ص298

138– المصدر السابق ص28

139– ابن الطوير المصدر السابق ص86

140– المقريزي الخطط ج1 ص352

141– ماجد ، عبد المنعم ، أصل حفلات الفاطميين في مصر ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، دار المطبوعة ، 2016 ، ص254